المبحث الخامس

* دراسة سيرة رسول الله ﷺ فيها أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة.

إن الدارس لسيرة المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجد فيها قدرا كبيرا من الثقافة الإسلامية، وذلك أن حياة النبى الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ صورة مجسدة نيرة لمجموع مبادئ الإسلام وأحكامه، سواء ما كان منها متعلقا بالعقيدة، والأخلاق، أو غير ذلك مما جاء به الإسلام.

لقد عرض القرآن الكريم سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يدعو إلى الله ـ تعالى ـ على بصيرة، وإن الذى يطلع على سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجد أن دعوة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تقوم على أساسين: ـ

الأول العقيدة، والثانى: التشريع والأخلاق.

فأما العقيدة التى جاء بها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم

ـ فلم يختلف مضمونها منذ بعثة آدم ـ عليه السلام ـ إلى بعثة خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

إنها الإيمان بوحدانية الله، وتنزيهه عن كل ما لا يليق به من الصفات، والإيمان باليوم الآخر والحساب والجنة والنار. وهذا ما جاء بيانه فى كتاب الله الكريم: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾(١).

هذا عن العقيدة باختصار.

أما التشريع: وهو سن الأحكام التى يُتَوَخى منها تنظيم حياة المجتمع والفرد، فإن أول ما يلاحظه الناظر إلى سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجد التطبيق الكامل لكل ما ورد فى القرآن الكريم من إقامة للعدل بين الناس للمحافظة على حقوقهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم. والله ـ سبحانه ـ من أسمائه العدل، وما أنزل كتبه، ولا أرسل رسله، ولا كلف الناس بالشرائع إلا لأجل إقامة الحق والعدل(٢).

يقول ـ جل شأنه ـ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) انظر: عناصر القوة فى الإسلام. السيد سابق ١٤٧.

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(١).

وإقامة العدل إحدى وظائف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى كلف بها: ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٢).

ولقد أقام الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ المجتمع الإسلامى على أسس قويمة من العدالة والمساواة والتراحم؛ فقد منع الشفاعة فى حدود الله، وأشاع السلام بين الناس إذ يحرم الخصومة فى الباطل، وأمَّن الناس على أسرارهم وأعراضهم؛ إذ يمنع تتبع عوراتهم.

عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:

«من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله ـ عز وجل ـ ومن خاصم في باطل وهو يعلم لم يزل في سخط الله حتي

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) سورة الشورى، الآية: ١٥

ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله رَدْغَةَ الخبال حتي يخرج مما قال، الحديث[1].

أما ما يتعلق بجانب الأخلاق فى المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإنه قد أدبه ربه بتأديبه الكريم، فكان خلقه كاملا؛ لأن رسالته دعوة الكمال، فهو الكمال المطلق فى التكوين البشرى.

جاء فى كتاب الإمام محمد أبو زهرة (خاتم النبيين) فيما نقله عن الشفاء للقاضى عياض فى أوصاف رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حيث يقول: "إن خصال الجمال والكمال فى البشر نوعان:

ضرورى دنيوى اقتضته الجبلة، وضرورة الحياة الدنيا. ومكتسب دينى، وهو ما يحمد فاعله... إلى أن يقول:

١ ـ فأما الضرورى المحض: فما ليس للمرء فيه اختيار، ولا اكتساب، مثل ماكان فى جبلّته ـ عليه الصلاة والسلام ـ من كمال خلقته، وجمال صورته، وقوة عقله، وصحة فهمه، وفصاحة لسانه، وكرم أرضه، ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه، ومنكحه وماله وجاهه.

(١) أخرجه أحمد فى المسند برقم ٥٣٧٥ ج ٧، بتحقيق المرحوم الشيخ أحمد محمد شاكر، ورواه أبو داود فى سننه، والطبرانى فى الكبير والأوسط: والحاكم.

٢ ـ وأما المكتسبة الأخروية: فسائر الأخلاق العلية والفضائل الشرعية: من الدين، والعلم، والحلم، والصبر والشكر، والعدل، والزهد، والصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن الخلق، والمعاشرة، وأخواتها، وهى التى جماعها حسن الخلق»[١].

ومعلوم أن منزلة الخلق فى الدين كبيرة، فيعتبر الخلق أهم جانب فى الإسلام بعد العقيدة والعبادة، أو هو الدين كله كما جاء بيانه فى القرآن والسنة[٢].

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: سئل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة قال: «**تقوي الله وحسن الخلق**»[٣].

خلاصة القول :ـ

أن دراسة سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها قدر كبير من الثقافة الإسلامية الصحيحة، ويتمثل ذلك فيما يأتى:ـ

(١) خاتم النبيين ﷺ للإمام محمد أبو زهرة ١/ ١٨١.

(٢) انظر: أصول الأخلاق فى ضوء القرآن. دكتور عبد الستار محمد توير، ضمن مجلة كلية الشريعة العدد السابع ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م جامعة قطر ص ٣٧٩.

(٣) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح، سنن الترمذى ج ٤ حديث رقم ٢٠٠٤ وتمام الحديث: وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «الفم والفرج» وأخرجه الإمام أحمد فى المسند ج ٢ ص ٢٩١ و٣٩٢ و ٤٤٢، وابن ماجه برقم (٤٢٤٦) وإسناده حسن، وصححه ابن حبان (١٩٢٣) وأورده النووى فى رياض الصالحين ص ٣٠٠ برقم ٦٢٧/٧.

١ ـ بينت السيرة النبوية العقيدة الإسلامية بأسهل أسلوب، واشتملت على كثير من جوانب العقيدة، فدراسة السيرة مما يعمق الجانب العقدى فى نفس المسلم، ويزيد من ثقافته فى هذا الجانب الهام.

٢ ـ وضحت السيرة النبوية الأحكام التى جاء بها الإسلام على أسس قويمة من العدالة والمساواة والتراحم.

٣ ـ أن الإنسانية اليوم بحاجة قصوى لمصلح عظيم يتخلق بأخلاق سيدنا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وذلك من خلال دراسة أخلاقه التى تضمنتها سيرته الشريفة، والتى تحمل سمات النبوة الصادقة فى مظهر معيشته وحياته.

٤ ـ أن سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ منارة للسالكين، ومشرق للعارفين، خاصة عند حدوث البلاء وتلاطم الفتن والأهواء، كأيامنا المكفهرة السوداء المشحونة بالمؤامرات الدولية.

٥ ـ فى دراسة سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ترقية للغة والأدب، وزيادة للثروة الفقهية؛ لأنها تعبر عن أرقى مستوى إيمانى.

٦ـ وأخيرا فإن سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فيها تهذيب للنفس، وتربية للروح، وسمو بالأخلاق.